مظاهر الحياة الاقتصادية

الفصل التاسع

مظاهر الحياة الاقتصادية

إن ارتفاع مستوى الفرد وانتعاش الأحوال الاقتصادية يساعد على بناء المجتمع القوي الذي يتسم بالاستقرار والثقة ، فتتوفر الأموال في أيدي الأفراد فيدفعهم ذلك إلى بناء الحضارة الإنسانية حيث يأخذون بأسبابها في شتى مناحي الحياة من مأكل وملابس، ويضفي ذلك على حياتهم لون من البهجة والمتعة فيتقدمون في الفنون بأنواعها[1].

ويرتبط النشاط الاقتصادي دائما بحالة الأمن والاستقرار التي تسود البلد ومدى ما يحققه حكام ذلك البلد لرعاياهم من عدالة وبعد عن المغالاة في جمع الأموال وفرض الضرائب والمكوس ، وقد ساعدت سياسة العرب التي اتسمت بالتسامح الديني والعدالة الاجتماعية على انتعاش الحياة الاقتصادية بمصر، حيث شعر المصريون والعرب معا بجو من الطمأنينة يساعد كل من الزارع والصانع والتاجر على الانصراف إلى عمله ومباشرة إنتاجه دون أن يخشى تعسفا أو ظلما[2]وتشمل الحياة الاقتصادية الزراعة والصناعة والتجارة.

الزراعة:

أتي العرب مصر لفتحها ولنشر الدين الإسلامي بها وهم يعلمون بمدى ثرواتها وخيراتها الزراعية ،وكثيرا ما أظهروا إعجابهم بتلك الخيرات والنعم التي حظي بها الله مصر، فقد ذكرت مكرمة بهذه النعم في القران الكريم في قوله تعالى:

في قوله تعالى : ﴿ ... ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ ... ﴾[3]

(١) حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص٣٠٢
(٢) سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ، ص٦٦
(٣) سورة البقرة : من الآية ٦١ .

ويقال في التوراة : "مصر خزائن الله ، فمن أرادها بسوء قصمه الله"[١]

وكانت الزراعة في مصر على مدى العصور التاريخية بمثابة العمود الفقري للحياة الاقتصادية بما يقدم النيل من طمي يكسب الأرض خصوبة وماء يروي الأراضي الزراعية ريا طبيعيا ، وكانت مصر تقدم من خيراتها للفاتحين المسلمين ما يحتاجون إليه من طعام وعلوفة لخيلهم[٢].

كما ظلت مصر ترسل الحبوب والقمح إلى مركز الخلافة الإسلامية في الجزيرة العربية ، بل استمرت في إرسالها بعد أن أصبحت مركزا للخلافة الفاطمية[٣] بعد أن فتح المسلمون مصر واستقرت بها العديد من القبائل العربية ، حيث ترك الولاة أرضها في أيدي أهلها وفرضوا عليهم الخراج ، وقد تشدد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في نهي العرب عن الزراعة وذلك في قوله:"فلا يزرعون ولا يزارعون"[٤] ، وذلك لكي يستمروا أجنادا على استعداد تام للغزو والجهاد[٥] .

وفي أوائل القرن الثاني الهجري عدلت الخلافة الإسلامية عن تشددها في منع العرب عن العمل بالزراعة ، حيث أخذت تشجع العرب وتسمح لهم بمزاولة الزراعة[٦]، ثم جاء قرار الخليفة العباسي المعتصم بالله بإسقاط العرب من الديوان ومنع أعطياتهم سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م[٧] ، ليدفع بهم إلى النزوح والانتشار إلى الريف والعمل بالزراعة بجانب المصريين.

زرع العرب والمصريون معا العديد من الحاصلات الزراعية يأتي في مقدمتها القمح ، الذي يعد من أهم الحاصلات الزراعية على الإطلاق لأنه ولا يزال الغذاء الأساسي للأهالي

(١) القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٣٠٦
(٢) ابن عبد الحكم :فتوح مصر ، ص ٧٤ ، ٧٥ محمد أحمد أمين : دراسات اقتصادية ، ص٥٦
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٧٥ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص١٥٢
(٤)ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص١٦٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ص١٥٥
(٥) محمد محمد أمين : دراسات اقتصادية ، ص ٥٠
(٦) الكندي : ولاة مصر ، ص١٧٥ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص١٢٩
(٧) الكندي : ولاة مصر ، ص١٩٤

وكانت زراعته منتشرة في جميع أنحاء البلاد ، وكان يشغل الجزء الأكبر من الأراضي الخصبة ، وكان الشعير ضمن الحاصلات التي تزرع بكثرة في جميع أنحاء البلاد من أسوان جنوبا حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا[١] .

وكان الكتان من الحاصلات التي انتشرت زراعتها في مصر وإن تركزت بكثرة في الدلتا ، وكان يزرع بمصر نوع ممتاز من الكتان ورد ذكره في أوراق البردي العربية ، ومثال لذلك ما ورد في بردية مؤرخة سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م ما نصه "أربعة عشر فدانا أرضا طيبة سوداء من أرض مفطول على أن تزرع قمح وكتان" كما جاء في نفس البردية "من أراضي المتعة تزرع كتان"[٢] وذكره السيوطي ضمن زراعات مصر[٣] ، وكذلك انتشرت زراعة الفول حيث كان يزرع بكثرة في مصر وورد ذكره أيضا في أوراق البردي العربية[٤] ، وكان يزرع مع القمح والشعير ، وهو يلي القمح في الأهمية ويطلق عليه البقول ويعد غذاء أساسيا للإنسان بجانب استخدامه كعلف للحيوانات[٥] .

هذا بجانب المحاصيل العديدة منها الصيفي مثل قصب السكر حيث يذكر أن العرب هم الذي نقلوا زراعته لمصر[٦] ، ويذكر عن الإمام الشافعي قوله: "لولا قصب السكر ما أقمت بمصر"[٧] ، وكانت زراعته منتشرة في أنحاء مصر وإن كثر في جنوبها وعلى حافتي النيل وفروعه[٨] ، وكانت هناك محاصيل أخرى عديدة ومتنوعة مثل القطن والأرز والسمسم والنيلة والقلقاس واللوبيا والبصل والعدس والبرسيم والجلبان والفجل واللفت والكرنب والمقاتي وغيرها .

(١) جروهمان : أوراق البردي العربية ، جـ٢ ص٤٤ ، ٤٦
(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص٤٦
(٣) جروهمان : أوراق البردي ، جـ٢ ، ص١٠٢
(٤) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ص ٣٠٣ ، ريسلر : الحضارة العربية ، ص١٠٣
(٥) طه عبد العليم رضوان : في جغرافية العالم الإسلامي ، ص٥١٤
(٦) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ٢
(٧) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٣٨ ، راشد البراوي: حالة مصر ، ص٧٠
(٨) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص٢٠ ، ٢١

أما عن الفاكهة فقد اشتهرت مصر بإنتاجها الوفير من الفاكهة المختلفة مثل الكروم واللوز والرمان والزيتون[١] ، وكان بمصر في وقت واحد من الفاكهة ما هو صيفي أو ربيعي أو شتوي ، حيث وجد بها في يوم واحد النارنج والليمون والتفاح والرمان والكمثرى والبطيخ والموز والزيتون والرطب والتمر والعنب[٢] ، وانتشرت زراعة البساتين بمصر ويذكر ذلك ابن حوقل بقوله "وبمصر نخيل كثيرة وبساتين واجبة صالحة وزروعهم بماء النيل من حد أسوان إلى حد الإسكندرية"[٣] .

ويذكر الإدريسي: "أيضا وعلى حافتي النيل كله معمور بالبساتين والأشجار[٤]وقد شهدت زراعة البساتين عناية بالغة من الولاة وكان الأهالي يخرجون إليها يقضون إجازتهم حيث يتنزهون ويمرحون"[٥] .

وكانت البساتين منتشرة في العديد من مدن وقرى مصر المختلفة وبلغت العناية بها إلى درجة كبيرة حيث كانت تنتج الكثير من الفاكهة[٦] ، وتميزت الزراعة بمصر أنها كانت تحقق الاكتفاء الذاتي للسكان بل كانت تمد الحرمين الشريفين بالغلال والحبوب وتوسع على سكان الحجاز[٧] .

واهتم الحكام المسلمين في مصر خلال عصر الولاة بشئون الزراعة من حيث تحسين الجسور والطرق ومشروعات الري ، وظهر ذلك من خلال بناء مقاييس للنيل ليتعرفوا على ارتفاع النيل نظرا لعلاقته الوثيقة بري الأراضي وتحصيل الخراج[٨] ، ولم يكن العرب هم أول من بنوا المقاييس ، فعندما دخلوها وجدوا بها عددا من المقاييس إذ كان هناك مقياس بأهنسا ، ومقياس بمنف ، ومقياس بقصر الشمع.

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص١١٨
(٢) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص١٨
(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٣٨
(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٣٢٤
(٥) حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ٢٠٦ ، عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص١٦٥
(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢ ص٢٧
(٧) سيدة كاشف: عصر الولاة ، ص١٥٠
(٨) محمد محمدي المناوي : نهر النيل في المكتبة العربية – القاهرة ١٩٦٦ ص١٤٧

وتشير المصادر العربية إلى العديد من المقاييس التي أنشأت بمصر بعد الفتح الإسلامي لها ، بعضها أنشأها الوالي عمرو بن العاص مثل مقياس أسوان ودندرة[١] ، وبعضها من إنشاء معاوية بن أبي سفيان مثل مقياس اسنا الذي ظل مستخدما حتى كانت ولاية عبد العزيز بن مروان وشيد مقياس غيره بحلوان سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م[٢] ، كما شيد أسامة بن زيد التنوخي عامل الخراج في خلافة الوليد ابن عبد الملك بن مروان مقياسا كبيرا في جزيرة الروضة سنة ٩٢هـ /٧١١م وقد أبطل الخليفة سليمان بن عبد الملك العمل به، فأقام أسامة بن زيد مقياسا آخر سنة ٩٧هـ/٧١٥م[٣] ، ثم بنى المأمون مقياسا بالبشرود[٤].

وفي سنة٢٤٧ هـ /٨٦١م أمر الخليفة المتوكل علي الله العباسي بإنشاء مقياس الروضة[٥] ، وقد شيده أحمد بن محمد الحاسب[٦] في ولاية يزيد بن عبد الله التركي[٧] .

وكان بلوغ النيل ستة عشر ذراعا يعد مؤشرا بوفاء النهر وإيذانا ببدء الاحتفال الذي اختلف من عصر لآخر ، حيث جرت العادة أن ينادي على زيادة النيل كل يوم منذ أواخر شهر يونيه[٨] حتى أمر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بإبطال المناداة سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م حتى تصل الزيادة إلى ستة عشر ذراعا ، وذلك منعا لاحتكار الأقوات وتخزينها في حالة عدم الوفاء[٩] .

وقد نظم الفلاحون بمصر طرقا لري وزراعة أراضيهم وفقا لفيضان النيل الذي كان يتم بشكل ثابت ويؤكد ذلك المقريزي بقوله :"لولا ما جعل الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد ، وهو هبوط الماء فيها عند بدء

(١) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٥٧ ، القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٣٢٧
(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٧٥ ، ٧٦ ، القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٢٩٤
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٥٧ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٢ ص٣١٠
(٤) هويدا رمضان : المجتمع المصري ، ص١٥٠
(٥) السيوطي :حسن المحاضرة ، جـ٢ ص ١٩٧ ، القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص ٣٢٧
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص٤٤١
(٧) المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٥٧ ، فريد شافعي : العمارة العربية ، جـ١ ص ٣٩١
(٨) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص١١٦
(٩) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٦٠

الزراعة لفسد إقليم مصر"[١] وفي ذلك أيضا يذكر الكندي: "أن النيل كان يزيد بترتيب مما ساعدهم على تنفيذ نظام الري"[٢].

وبالنسبة للملكية الزراعية، فكانت الأراضي الزراعية ملكا للأهالي يحق لهم التصرف فيها بالبيع والشراء والتوريث والهبة[٣].

وكان النظام السائد في توزيع الأراضي هو نظام القبالات، وكان متولي خراج مصر يجلس في جامع عمرو ويكتب ما ينتهي إليه مبالغ الكور على متقبليها من الناس[٤]، وكان المتقبلون من الأمراء والأشراف وغيرهم وكانت القبالات تتم لمدة أربعة سنوات حتى تتعادل سنوات المحصول الضعيفة مع المحصول الطيب[٥].

أما عن وحدة المقاييس الزراعية فكان الفدان هو الأساس المعتمد عليه في الضريبة العقارية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحالي[٦]، وكانت الوحدة الزراعية هي القبالة وكانت تعرف باسم صاحبها، ثم قسمت الأراضي بعد ذلك إلى أحواض وصار الحوض هو الوحدة الزراعية بدلا من القبالة، وعرف كل حوض باسمه[٧]، وكانت الأراضي تقاس بالقصبة وبلغ الفدان ٤٠٠قصبة حاكميه[٨].

الثروة الحيوانية:

قام الفلاحون بمصر بتربية الماشية كالبقر في الصعيد والجاموس بالدلتا[٩]، حيث اعتنوا بتربية الأغنام في شتى نواحي البلاد، هذا بجانب تربية الخيل لمكانتها في الغزو

(١) المقريزي: الخطط، جـ١ ص٦٠
(٢) الكندي: فضائل مصر، ص٦٣
(٣) محمد رفعت: الحضارة العربية، ص٩٣
(٤) محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ١ ص١٧
(٥) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين، ص٢٧٦، ٢٧٧
(٦) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص١٥٢، محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ١ ص١٠،٩
(٧) المقريزي: الخطط، جـ١ ص١٠٣
(٨) كانت القصبة عبارة عن عود من الغاب طوله ٣٨٥سم، القلقشندي: صبح، جـ٣ ص٤٤٦، سعاد ماهر: محافظات مصر ص٦
(٩) امينة الشوربجي: ص٢٠٦

والقوة على عدوهم[١] ، وقد أولى أمير مصر عبد العزيز بن مروان الاهتمام بتربية الحيوانات وادخل السلالات القوية وأتخذ الفحلة لتحقيق ذلك[٢] .

وازدهرت الثروة الحيوانية خلال العصر الفاطمي ، وذلك لما لاقته من اهتمام الخلفاء بتربية أنواع عديدة من الحيوانات لاستخدامها في أعمال الحرث والزراعة مثل الإبل والأغنام والماشية والماعز والأبقار التي انتشر تربيتها في منطقة الصعيد للاستفادة منها في مجالات عديدة[٣] .

انتشرت تربية الجاموس في مصر وخاصة في الدلتا لعدم تحمله حرارة الجو حيث أتي العرب به من الهند موطنه الأصلي[٤] ، هذا بجانب تربية البغال والحمير التي كانت منتشرة في شتى أنحاء البلاد وكانت تستخدم في النقل ويذكرها ابن حوقل بقوله :"وبمصر بغال وحمير لا يعرف في شيء من بلدان الإسلام والكفر أسير منها ولا أحسن ولا أسمن غير أنها مخطفة الخلق غير عابلة الأبدان ولا رطبة الجسوم ، وقد تجلب إلى بعض الأماكن فتتغير وتملأ أبدانها ، وهي الغاية في السرعة والسير وحسن المشي والوطأة"[٥] .

هذا بجانب تربية أنواع عديدة من الطيور يأتي في مقدمتها الدجاج والحمام[٦] وقد عرفت مصر نظام تربية الدواجن متبعة نظام الحضانات الخاصة ، حيث يتم التفريخ بطريقة الترقيد الصناعي في معامل كالتنانير ، وتخرج الفراريخ من البيض بكميات كبيرة ، ويذكر المقريزي : " أن هذه الطريقة هي الطريقة المثلى لإنتاج الفراريخ في مصر الإسلامية"[٧]، وكانت معامل تفريخ البيض منتشرة في أنحاء مصر ، وزاد اهتمام

(١) أبو عبيدة معمر بن المتنبي : كتاب الخيل ص١٠٧
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح ص ١٤٥ ، القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٣٤٦
(٣) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص٧٥
(٤) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ص٣٤٦
(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٥١ ،١٥٢
(٦) ابن اياس :بدائع الزهور ، جـ١ ص٥ ، القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٣٤٧
(٧) المقريزي : الخطط ، جـ١

الفاطميين بها وشجعوا على انتشارها للحصول على الكميات الكافية من الدواجن لموائد قصورهم ، ومطابخهم ، حيث كان الدجاج من الوجبات الرئيسية في الأسمطة[١].

تربية النحل :

عرف عسل النحل بمصر منذ أقدم العصور ، وكان لعسل النحل المصري شهرة كبيرة ، وقد اعجب الرسول ﷺ بالعسل الذي أهدي إليه من المقوقس حاكم مصر ، وبارك فيه ، وبعد الفتح الإسلامي لمصر كان العسل يدخل ضمن ما يدفعه الأقباط المصريون من جزية ، وقد اهتم المسلمون خلال عصر الولاة بتشجيع إقامة المناحل ، وكذلك خلال العصرين الطولوني والإخشيدي ، وقد اشتهرت مدينة بنها خلال العصر الإسلامي ببيعها العسل[٢] .

وخلال العصر الفاطمي كانت تربية النحل واستخراج العسل من الأعمال التي مارسها الكثيرون في مختلف أنحاء القطر ، وخاصة الأماكن التي تجود فيها زراعة الأزهار ، وكانت أكبر مراكز إنتاجه الفيوم ، وضواحي الفسطاط ، وقليوب لوفرة البساتين بها ، وكان قطف العسل من النحل يبدأ في شهر برمودة ، ويستمر في بؤنه ، واخيرا تقطف بقاياه في أبيب[٣].

وكان الطلب على العسل شديدا خلال العصر الفاطمي ، وذلك لاحتياج الحكومة لكميات وفيرة منه لاستخدامه في صنع الحلوى في المناسبات المختلفة[٤] .

(١) البغدادي : الإفادة ، ص٨٠
(٢) أمينة الشوربجي : رؤية الرحالة ، ص٢١١
(٣) ابن مماتي : القوانين ، ص١٦٥
(٤) راشد البراوي : حالة مصر ، ص٧٧

الصناعة

اشتهرت مصر بجانب إنتاجها الزراعي بالعديد من الصناعات الهامة مثل صناعة النسيج والزجاج والبلور، وصناعة الورق البردي ، والصناعات الخشبية والمعدنية ، وصناعة الفسيفساء ، والصناعات الغذائية ، وعمل الحصير وغيرها.

وكان المصريون عماد الصناعات كلها سواء من أسلم منهم أو من بقي على دينه ، وقلما اشتغل العرب بالصناعة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين نظرا لأنهم احتفظوا خلال هذه الفترة بالأعمال الإدارية وشئون الحرب ، واستمر ذلك حتى عهد الخليفة المعتصم بالله عندما أسقط العرب من الديوان ومنعهم العطاء مما جعل العديد منهم يمارسون الصناعة كمورد للرزق[1] ، وعملوا جنبا إلى جنب مع المصريين مما زاد من تقدم الصناعات في مصر وبرعوا في كافة الصناعات.

صناعة المنسوجات:

كانت مصر بإجماع المؤرخين والرحالة الذين زاروها خلال عصر الولاة ذات شأن عظيم في صناعة المنسوجات[2] ، حيث كانت منسوجاتها موضع تقدير في الدقة والروعة بعد أن أضفى عليها المسلمون ما يناسب دينهم الإسلامي[3] ، وبلغت صناعة النسيج تحت ظل العرب المسلمين درجة من الكمال إذ حرص الخلفاء والولاة أمويون وعباسيون وفاطميون أن يضمنوا لمصر احتكار نسج كسوة الكعبة المشرفة مما ساعد على تطور هذه الصناعة[4] .

وكانت مصانع النسيج ودور الطراز سواء العامة أو الخاصة منتشرة في شتى المدن ، حيث اشتهرت كل مدينة بإنتاج منسوجات تنسب إليها ، فقد اشتهرت الإسكندرية

(١) سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص١٥٧ ، راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٣٦

(٢) الكندي : فضائل مصر ، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٥٢ ، ناصر خسرو : سفر نامه ، ص٩٢،٩٤

(٣) سعاد ماهر : النسيج الإسلامي ، ص٧

(٤) زكي محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية ، ص١١

بإنتاج القصب الذي تصنع منه العمائم وملابس النساء[١] ، وكذلك الشرب من الكتان [٢] ، والديبق والبقلمون[٣]، بجانب إنتاج المنسوجات الصوفية والمنسوجات الحريرية[٤]، واشتهرت دمياط وديبق بإنتاج المنسوجات بشتى أنواعها حيث كانت تنتج الثياب المصقلة والعمائم والشرب الملونة والمنسوجات التي كان يطلق عليها ديبقي[٥]وشطا ودميرة وتونة التي كان يصنع بها كسوة الكعبة[٦].

وفي الوجه القبلي اشتهرت البهنسا التي كانت تنسج بها الستور المعروفة بالبهنسية، وقد كان من فضائل مصر طراز البهنسا من الستور والمضارب مما يفوقون به طرز أهل الدنيا[٧] ، والأشمونين التي كانت تنتج المنسوجات وتصنع الثياب وتصدرها إلى مدينة الفسطاط وتباع بأسواقها[٨] ، وأنتجت أسيوط المنسوجات الكتانية والصوفية بجانب الثياب الثقيلة والدقيقة وكانت تصدر من أسيوط إلى خارج مصر، كما أنتجت نوعا من المفروشات الأرمينية التي تشبه القرمز والمفروشات الأرمنية من حيث الجودة والدقة[٩] ، ومدينة شطا التي كانت مشتهرة بصناعة النسيج الشوطي ، وكان يعمل بها من الثياب القصب وكسوة الكعبة[١٠] .

واشتهرت مدينة أخميم بإنتاج العديد من المنسوجات الحريرية وكانت مشهورة بعمل الملاءات القطنية والحريرية[١١] ، وأيضا يعمل بها المفروشات القطوع الأخميمية ، ومدينة قوص - إحدى مدن محافظة قنا - كانت ضمن المدن الشهيرة بإنتاج المنسوجات

(١) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص١٣٥
(٢) حسن محمود :حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص٢١١
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٣٨
(٤) راشد البراوي : حالة مصر ، ص١٣٥ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٦٢ ، سالم : تاريخ الإسكندرية ص٢٠٨ ، عطية القوصي :تجارة البحر الأحمر ، ص٢١٩
(٥) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٢٦
(٦)ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢ ص٢٦٢
(٧) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٣١
(٨) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٢٣٨
(٩) البلاذري : فتوح البلدان ، جـ٣ ص ٦٨١، القزويني : آثار البلاد ، ص١٤٧
(١٠) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢ ص٢٦٢
(١١) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٦٣

الكتانية والقطنية والحريرية وكانت تباع في جوانب المدينة[١] ، ومدينة أسوان راجت بها صناعة الحبال من الصوف والقطن وصنعت بها القطع النسيجية التي كانت تلف أجساد الموتى من الكتان[٢].

صناعة الأصباغ :

ومن الصناعات المرتبطة بالنسيج صناعة الأصباغ ، حيث استخدم المصريون والعرب أجود أنواع الصبغة من مواد الصباغة الطبيعية سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية مثل الكركم ، وقشر الرمان ، والحناء والنيلة ، والشب[٣] وكانت الألوان ضرورية في كثير من الأحيان.

وقد أمكن الحصول على اللون الأحمر من مادة اللعلى التي جلبها العرب من الهند والقرمز من بلاد أرمينيه[٤] ، واشتهرت مدينة أخميم باستخلاص العصارة الحمراء من نبات السلجم الذي كان ينمو بالقرب منها ، وكانوا يستخرجون اللون الأحمر أيضا من معدن الزرنيخ الأحمر والزنجر الرماني[٥] ، أما اللون الأزرق فكان يستخرج من شجرة النيلة وكان متوفرا بمصر[٦] وكانت الشبة تستخدم في تثبيت الألوان[٧] ، وكان الزعفران والعصفر والكركم يستخدم للحصول على اللون الأصفر[٨] .

صناعة الحصير :

كانت صناعة الحصير صناعة يدوية وتقوم على نبات البوص أو السمار أو سعف النخيل المجدول بحبال القنب أو نبات البردي والحلفا ، والألياف الكتانية وقش الأرز[٩] ،

(١) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة في مصر ، ص٢٧٤،٢٧٥
(٢) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة ، ص ٢٨١
(٣) المسعودي : مروج الذهب ، جـ١ جـ٢٧
(٤) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ١١٠
(٥) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٤١
(٦) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٧٢
(٧) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٢٨
(٨) السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٤٣
(٩) سعاد ماهر : النسيج الإسلامي ، ص١٣٥ ، سعاد ماهر : الحصير ، ص٢٥،٢٦

وكان استعمال الحصير مهما لفرش المساجد والمدارس والكتاتيب والدور السكنية ، كما أستعمل نوع من الحصير السميك في تغطية جثث الموتى أو فوق توابيت الموتى بجانب تغطية الوسائد والأرائك[١] .

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الحصير مدينة الإسكندرية التي كان بها مناسج للحصر الساماني والعبداني[٢] ، كما كانت الفسطاط من المدن الشهيرة بصناعة الحصير وكان بها تسعمائة منسج للحصير[٣] ، كما اشتهرت مدينة منوف والفيوم وكذلك أدفو ، وأرمنت وكل من أسيوط وأخميم والبهنسا والأشمونيين[٤].

صناعة الفخار والزجاج:

اشتهرت مصر من قديم الزمان بصناعة الأواني الفخارية ، وذلك لسد حاجتها المحلية واستمرت هذه الصناعة في ظل الحكم الإسلامي وظلت البلاد تنتج الأواني الفخارية مثل المسارج[٥] ، كما صنعت من الفخار القوارير التي كانت تستخدم للإضاءة أو الزينة وصنج للوزن ، بجانب استخدامها في حمل ماء زمزم أثناء عودة الحجاج[٦] ، بجانب صناعة القلل الفخارية[٧] .

وصنعت من الفخار الأواني والأوعية لحفظ الخل والعسل والنبيذ بجانب صناعة الأنابيب الفخارية لاستخدامها في توزيع المياه داخل الدور والمنازل في المدن المصرية ، وقد بلغ من انتشار صناعة الفخار أن الفخاريين كانوا يصنعون مجموعات من لعب الأطفال بأشكال العرائس والفرسان والحيوانات[٨] ، وصنعت من الفخار بعض أدوات المكاييل

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ٢ ص١٨٤ ، سعاد ماهر : الحصير ، ص١٣، ٨٩
(٢) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٢٨ ، عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ٥٢٩
(٣) البغدادي : الإفادة ، ص٥٧
(٤) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٧٦
(٥) كانت المسارح عبارة عن أشكال بيضاوية أو مستطيلة ترتكز على أرجل صغيرة استخدمت للإضاءة ، عيد أبو زيد : أحوال المجتمع في حواضر مصر ، ص ١٩١
(٦) عبد العزيز مرزوق : الحياة الفنية في مصر الإسلامية ، ص٦٠١
(٧) زكي محمد حسن : الفنون ، جـ١ ص٦٦
(٨) السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص١١١ ، ١١٢

والأختام[١] ، وقوارير النفط الفخارية من عجينه سميكة على أشكال مختلفة في بعض أجزائها بروز حتى يسهل مسكها[٢] .

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الفخار الإسكندرية والأقصر ومدينة قنا وقوص[٣]

صناعة الزجاج:

استمرت صناعة الزجاج في مصر كما كانت عليه قبل الفتح ، حيث وجدت الرمال الجيدة التي استخدمت في الصناعات الزجاجية بالقرب من الإسكندرية وأرمنت وسقارة ، وأنتجت البلاد الكثير من الأواني والقوارير والكئوس والأكواب والأطباق والزهريات والدوارق للاستعمال المنزلي أو لحفظ الزيوت والعطور ، والأختام والمصابيح مخروطة الشكل[٤] ، هذا بجانب إنتاج المصابيح والقناديل وألواح الزجاج والشمسيات[٥].

ومن المدن التي اشتهرت بالمنتجات الزجاجية الإسكندرية والبهنسا والفيوم والأشمونيين[٦] ، وكانت الفسطاط من أهم مراكز صناعة الزجاج واستمرت حتى أواخر القرن السابع الهجري[٧] .

صناعة الورق:

قامت صناعة القراطيس في مصر على نبات البردي الذي كان ينمو بكثرة حول مستنقعات الدلتا والفيوم[٨] ، وذكر المقريزي أن البردي كان ينمو في صعيد مصر[٩] ، وكثر استخدام البردي في الدولة الإسلامية ويذكر ابن الفقيه - من علماء القرن الثالث الهجري - أنه كان لأهل مصر القراطيس التي لا يشاركهم فيها أحد[١٠].

---

(١) عبد محمد على : أحوال المجتمع في حواضر مصر ، ص١٩١ ، ١٩٢
(٢) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص١٧٣
(٣) السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص١١٣
(٤) ديماند : الفنون الإسلامية ، ص٢٣ ، عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية ، ص٢٢٧
(٥) ديماند : الفنون الإسلامية ، ص٢٤ ، نعمت إسماعيل علام : الفنون الإسلامية ، ص٢٥١
(٦) زكي محمد حسن: أطلس الفنون ، ص ٢٥١ ، أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، ص ٢٧٢
(٧) ابن سعيد : المغرب ، جـ١ ص٣٦ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٣٤٢
(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٣٦ ، محمد دراز : نباتات مصر ، القاهرة ، جـ١ ص٢،٣
(٩) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٤٣
(١٠) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص٦٦

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الورق من البردي مدينة الإسكندرية[١] ومدينة بورة[٢] ، ومن مراكز هذه الصناعة أيضا أسوان وأوسيم[٣].

وكان الصناع المصريون يجيدون عمل أنواع البردي منه ما نعم وغلا ثمنه وما خشن ورخص وقيل أن المصانع المصرية كانت تنتج سبعة أصناف من ورق البردي[٤] ، وظلت مراكز الصناعات تنتج من القراطيس أو الطوامير طيلة ثلاث قرون بعد الهجرة ، وكان الصناع يعملون منها ما يبلغ طوله ثلاثين ذراعا وأكثر[٥] .

وتعرضت صناعة البردي إلى التدهور والاضمحلال وذلك خلال العصر الإخشيدي ، حيث ظهرت صناعة الورق في مصر سنة ٣٠١هـ/٩١٣م وحلت محل ورق البردي[٦] ، كما أحل الكاغد الذي يصنع في سمرقند والصين وبعض مدن الشام محل البردي[٧] ، وكان يصنع من الكتان ، وكانت قراطيس سمرقند لأهل المشرق وقراطيس مصر لأهل المغرب[٨] ، وانتشر الكاغد في مصر خلال القرن الرابع الهجري وكان بالفسطاط سوق كبير للوراقين[٩] ، ومن مراكز صناعة الورق في مصر مدينة أسيوط بالصعيد ، وكذلك كان بالإسكندرية مصانع للورق[١٠].

الصناعات الغذائية:

احتلت الصناعات الغذائية مكانتها بين الصناعات الأخرى ، وتميزت مصر بوفرة خيراتها وكثرة إنتاجها الزراعي والحيواني مما ساعدها كثيرا في قيام العديد من هذه الصناعات ، ويذكر المقريزي مصر بقوله "فأهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ، لإستغني أهلها بما فيها عن جميع الأرض"[١١] .

---

(١) صفي علي محمد : مدن مصر الصناعية ، ص١٩٤
(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص٣٣٨
(٣) محمد الكندي : فضائل مصر ، ص ٢٣ ، ابن ظهير : الفضائل الباهرة ، ص٥٦
(٤) أرشيبالد لويس : دراسات إسلامية ، جـ٢ ،ص٣٦٥ ، أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ص٣٣٦
(٥) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٩١
(٦) أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٥٧
(٧) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ص٢٣٨
(٨) ابن النديم : الفهرست ، ص٢١
(٩) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ص ٢٣٨ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٣٣٠
(١٠) هويدا رمضان : المجتمع ، ص١٧٨
(١١) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٨

ويأتي في مقدمة الصناعات الغذائية صناعة السكر والعسل وقد اعتمدت هذه الصناعة على قصب السكر الذي كان يمثل العمود الفقري لهذه الصناعة ، وقد أدخل العرب هذه الصناعة إلى مصر بعد الفتح الإسلامي بعد أن عرفوها من شرق أسيا[١] ، وكانت زراعة قصب السكر منتشرة في مصر كما ذكرنا ، وقد زرعه قرة بن شريك والي مصر في عهد الوليد بن عبد الملك (٩٠-٩٦هـ/٧٠٨-٧١٤م) في بركة الحبش بعد استصلاحها[٢] .

وكانت صناعة العسل واسعة الانتشار في المناطق التي اشتهرت بزراعة القصب[٣] ، أما صناعة السكر[٤] فقد كانت منتشرة في مناطق عديدة حيث كانت له مصانع خاصة أطلق عليها المسابك أو المطابخ ، ولم تقتصر صناعة السكر الأحمر على مناطق إنتاج القصب وإنما اشتهرت بعض المدن الكبرى بمطابخ السكر مثل الفسطاط ، كما اشتهرت بصناعة السكر مدينة أسيوط التي كان بها سائر أنواع السكر ومنها كان يحمل إلى جميع الدنيا[٥] ، ويذكر الأدفوي ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م أن مدينة قوص كانت أكثر بلاد الله قصبا ومنها يجلب السكر إلى بلاد مصر والحجاز والحبشة[٦] ، وأضاف أن فقط كان بها أربعون مسبكا للسكر[٧] .

وكانت ترنوط - إحدى قرى غرب الدلتا- من أهم مراكز صناعة السكر في مصر خلال العصر الإسلامي ويذكرها ياقوت الحموي بقوله : "وبها معاصر للسكر"[٨] ، واشتهرت رشيد بصناعة السكر وكان يجلب منها إلى جميع الممالك[٩] .

---

(١) نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٢٠٨
(٢) الكندي : الولاة ، ص٦٥
(٣) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٨
(٤) صناعة السكر: فكانوا إذا حل شهر هاتور بدءوا في جمع القصب للمعاصر وتجميع الاتبان وترتيب العمال لعمل القصب حزم وتجهيز الأمطار وهو ما يستخدم في وزن السوائل وفي شهر كيهك كان العمال يعصرون القصب بالمعاصر الخاصة حيث كان يوجد بها أحجار خاصة لأعتصارها ، وكان يوجد في كل معصرة ما بين حجر أو أربعة حجارة وتدار بالماء أو الأبقار أو بالأنفار، النابلسي:تاريخ الفيوم،ص ٧٠، ابن مماتي: قوانين الدواوين،ص٢٤
(٥) القزويني : أثار البلاد، ص٤٧
(٦) الإدفوي : الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، القاهرة ١٩١٤م ، ص ٨ ، ٤٤
(٧) الإدفوي : الطالع السعيد ، ص٢٨
(٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٢٨
(٩) محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص١٢٧

ومن مراكز هذه الصناعة أيضا الفيوم ، حيث كان بها معاصر ومطابخ للسكر بجهة سنورس ، وكانت مدينة ملوي تضم عدة أحجار لاعتصار القصب ، وأيضا مدينة سمسطا التي كانت تقع بالقرب من البهنسا والأشمونيين وسمهود ، ويدل على كثرة إنتاج العسل والسكر في مصر قول الرحالة ناصر خسرو الذي زار مصر خلال العصر الفاطمي "أن مصر تنتج عسلا وسكرا كثيرا"[١].

صناعة الخمور :

كانت صناعة الخمور منتشرة في مصر بعد الفتح الإسلامي لها، هذا وقد تم تحريم الخمور في القرآن الكريم في، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [٢] .

وقد انتشرت حانات الخمور في الفسطاط وفي الأديرة ويدل على ذلك أوامر الولاة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين بإغلاقها ، فعلى سبيل المثال أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز رسائل إلى أهل الأمصار يأمرهم فيها بترك الشراب ، فأرسل إلى عامله على مصر - أيوب بن شرحبيل (٩٩ -١٠٦هـ/٧١٧-٧٢٤م) ولأهل مصر في النهي عن الخمور فحرمت وكسرت آلاتها وعطلت حاناتها[٣] ، وفي ولاية على بن سليمان على مصر (١٦٩-١٧١هـ/٧٨٥-٧٨٧م) أمر بإغلاق الملاهي ومنع بيع الخمور[٤] .

وكانت الأديرة المنتشرة بمصر مركز من مراكز صنع الأنبذة من الكروم[٥] مثل دير القصير، ودير نهيا ودير مرحنا[٦] ، وكان يجتمع في قاعات شراب الأديرة وبساتينها أهل البطالن واللهو وكان بعض الأمراء يعقدون مجالس الشراب واللهو بالأديرة ، ومثال لذلك خمارويه الذي أمر أن يبنى له في أعلى دير القصير طبقة لها أربع طاقات على الجهات الأربع[٧] .

---

(١) السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٥٦، ٣٥٧
(٢) سورة المائدة: من الآية٩٠
(٣) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٦٨ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ١ ص ٢٣٨
(٤) أبو المحاسن : النجوم ، جـ٢ ص٦٢ ، ١٣٢
(٥) حبيب زيات : الديارات النصرانية في الإسلام ، بيروت ١٩٣٨ ، ص٣٥
(٦) صفي علي محمد : مدن مصر الصناعية ، ص٢١٦
(٧) أبو صالح الأرمني : كنائس مصر وأديرتها ، ص٢٦١

واشتهرت بصناعة الخمور مريوط والجيزة وقليوب والفيوم ، حيث كان ينمو بها الكروم بكثرة وكان النصارى هم القائمين على هذه الصناعة[١] .

ومن المواد الغذائية شراب العسل - الفقاع - كان يعرف باسم الشراب العسلي أو نبيذ العسل وكان لا يعمل إلا بمصر[٢] ، واشتهرت بصناعته شبرا الخيمة ودمنهور[٣] ، وكان شراب المزر (البوظة) من شراب العوام في مصر ، وكان يتخذ من القمح[٤] ، واشتهر بصناعته أهل السودان الذين كانوا يقيمون في مصر[٥] .

صناعة الزيوت والصابون والشمع :

كانت أنواع الزيوت الجيدة تأتى البلاد الإسلامية من الشام وشمال أفريقية[٦] هذا بجانب النتاج المحلى حيث اشتهرت بعض المدن المصرية باستخراج الزيوت من بذور اللفت والفجل والسلجم والخس والقرطم والحنظل ، بالإضافة إلى ذلك استخراجه من الزيتون ، حيث كان يستخرج منه زيت رخيص يستخدم في الطعام والإضاءة[٧] .

وكان من أهم أنواع الزيت ما كان يستخرج من السمسم وكان يعرف باسم الشيرج وكان مرتفع الثمن ، وعلى الرغم من قلة السمسم فإن زيته كان غزيرا[٨].

وقد اشتهرت العديد من المدن باستخراج الزيوت يأتي في مقدمتها مدينة الفسطاط وما حولها ، حيث يذكر ابن دقماق : "إن هذه الصناعة قامت بدرب المعاصر بالفسطاط"[٩]، كما أضاف أنه كان بكل من شبرا الخيمة وقليوب معاصر سيرج[١٠] ،

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص ١٩٧ ، المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص ١٣٠
(٢) المسعودي : التنبيه والإشراف ، جـ١ ص٢٠ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص١٣٣
(٣) المسعودي : التنبيه والإشراف ، جـ١ ص ٢٠ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٣٣ ، ياقوت: معجم البلدان، جـ١ ص٦١
(٤) البغدادي : الإفادة ، ص ٤٣
(٥) خسرو : سفر نامه ، ص ١٢٩
(٦) راشد البراوي :حالة مصر ، ص١٨٠
(٧) جروهمان : أوراق البردي ، جـ٥ ص٥٢ ، ٥٣ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٥ ص١٢٢
(٨) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص١٢٩
(٩) ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ص ٤٦ ، ٤٨
(١٠) ابن دقماق : الانتصار ، جـ٥ ص ٤٧، ٤٨

وكان زيت الفجل في مدينة سخا[١] ، وكانت سندفا - إحدى مدن المحلة - من أهم مراكز عمل الزيت حيث كان بها سوق زيت حسن[٢] ، كما اشتهرت ترنوط - إحدى قرى غرب الدلتا بمعاصر الزيوت[٣] ، وكانت أهم معاصر الزيت بالبهنسا ، وفي مدينة الفيوم[٤] .

صناعة الصابون :

قامت صناعة الصابون على الزيوت المستخرجة من بذور النباتات ، هذا بجانب أن العرب كانوا يصنعونه بمزج الصودا بشحم الأغنام أو الزيت[٥] ، ويذكر الإدريسي مدينة قفط أنه كان بها مزارع كثيرة للبقول مثل اللفت والخس ، فكانوا يجمعون بذورها ويطبخونها ويستخرجون أدهانها ويصنعون منها أواني من الصابون يتصرفون به في جميع أرض مصر، ومنها يتجهز إلى كل الجهات[٦] .

وكان بمدينة الفسطاط والإسكندرية مطابخ للصابون ويذكر البغدادي أن صابونه أحمر وأصفر وأخضر[٧] .

صناعة الشمع :

اشتهرت مصر بصناعة الشمع على اختلاف أحجامه بما فيه الصغير يحمله الأطفال وكبير تزن الواحدة منه بضعة أرطال[٨] ، ويذكر ابن ظهيرة: "أن بمصر الشمع الذي يفضل شمع الدنيا"[٩] ، وكان الشمع يستخدم في الإضاءة داخل المساجد ، والقصور ، والمنازل ، وكذلك في الطرقات والحوانيت[١٠] .

وقد ارتبطت صناعة الشمع بتربية النحل ، وكان صالح بن على والي مصر سنة ١٣٣هـ /٧٥٠م هو أول من اتخذ الشموع الكبيرة ، وكان للمصريين مهارة كبيرة في عمل

(١) ابن حوقل : سورة الأرض ، ص١٣١
(٢) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٦٢
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢ ص٢٧
(٤) أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٢٨
(٥) عطية القوصي : الحضارة الإسلامية ، ص١٢٤ ، راشد البراوي : حالة مصر ، ص١٨٢، ٣٨٢
(٦) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص٤٨ ، ٤٩
(٧) البغدادي : الإفادة والاعتبار ، ص٤٢
(٨) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٤٦٥، ٤٩١
(٩) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص١٣٣
(١٠) أبو المحاسن : النجوم ، جـ٥ ص ١٢٢

الشمع حيث كانوا يستخلصونه من خلايا النحل[١] ، وكانت الإسكندرية أكبر مراكز صناعة الشمع في مصر الإسلامية[٢] ، حيث توفرت بها مقومات صناعته من مواد خام بجانب رطوبة الجو الذي يؤثر في تماسك المواد المصنوعة منها الشمع[٣] ، هذا بجانب انتشار صناعته في دمياط وتنيس فضلا عن الفسطاط[٤] .

صناعة الروائح العطرية :

اشتهرت مصر أيضا بالزيوت العطرية التي كانت تستخرج من الأزهار لصناعة الروائح من الياسمين والبنفسج ، وكان زيت الياسمين من العطور المشهورة ، وكان من أهم أنواع هذه الزهور النرجس والورد والياسمين وغيرها وكانت الفيوم مركزاً لاستخراج ماء الورد[٥] ، كما كان يستخرج بمصر زيت يعرف بزيت الخردل يفيد في علاج بعض الأمراض[٦]

الصناعات الخشبية :

برع المصريون خلال العصر الإسلامي في العديد من المصنوعات الخشبية وذلك بالرغم من قلة الأخشاب في مصر ، وكانوا يستوردون من البلاد المجاورة ما يلزمهم من خشب الأرز والصنوبر والأبنوس والساج وغيرها[٧] .

وكان يوجد بمصر من الأخشاب المحلية ما يصلح لأعمال النجارة البسيطة مثل شجر الجميز والتوت والسنط والبندق والزيتون والسرو والنخيل والأثل[٨]

وهذه الأخشاب منها المستورد ومنها المحلي ، وأنتجت مصر العديد من المصنوعات الخشبية ، يأتي في مقدمتها صناعة السفن بأنواعها المختلفة ، وصناعة أثاث المنازل من

(١) أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٤٢
(٢) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص١٨٢
(٣) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص٥٩٥
(٤) ابن الكندي : فضائل مصر ، ص٦٩
(٥) صفي علي محمد : مدن مصر الصناعية ، ص٢١٣
(٦) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ٢ ص١٩٣ ، ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ، جـ٢ ص٣٥
(٧) زكي محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص ٦٣ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٦٨
(٨) راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٧٠ ، ادم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ص٩٣

دواليب وموائد وكراسي وسرايرو وعمل سقوف البيوت والأبواب والنوافذ[١] ، وكذلك صناعة محاريب الجوامع والمساجد والمنابر وربط القوائم بعضها ببعض ، وعمل القباب وتدعيمها[٢].

هذا بجانب صناعة أدوات الطهي مثل القدور وأدوات المائدة من خشب الخلنج والجزع[٣] ، وكذلك عمل السواقي وآلات رفع المياه ، والمحاريث والطواحين والمعاصر ، والأنوال المستخدمة في عمل النسيج والحصير[٤] ، وأيضا صناعة المكاييل المستخدمة تقدير المحاصيل الزراعية[٥] ، وكانت هذه الصناعات منتشرة في شتي أنحاء البلاد بمصر خلال العصر الإسلامي.

الصناعات المعدنية:

اشتهرت مصر بالصناعات المعدنية قبل الفتح الإسلامي وظلت صناعات المعادن قاعدة لمصر بعد الفتح ، وقد استخدمت الصناعات القائمة على خام الحديد أساس لاحتياجات الأهالي من المصنوعات البسيطة إلى جانب بعض آلات الحرب كالسهام والسيوف والرماح والبلطة.

وكان الحديد يستخدم في عمل السروج ولجم الخيل والخوذ[٦] ، وقد اشتهرت مدينة دلاص بصناعة اللجام الدلاصية[٧] ، ويذكر الادريسي ت سنة٥٦٠ هـ "أنه كان بدلاص ثلاثمائة حداد يعملون هذه اللجم[٨] ، وكان بالقاهرة سوق يسمى سوق اللجمين"[٩] .

---

(١) أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص١٦ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٣١٥
(٢) ابن دقماق : الانتصار ، جـ٥ ص٦٢ ، ٦٣
(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص١٦٩
(٤) راشد البراوي : حالة مصر ، ص١٧
(٥) المسبحي : أخبار مصر ، ص٢١٣ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ١ ص٢١٨
(٦) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص٥٩٣
(٧) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٢٣١ ، أبو صالح الأرمني : تاريخه ، ص١١٦
(٨) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٥١
(٩) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٩٨

ومن الصناعات المعدنية صناعات الذهب والفضة حيث صناعة الحلي والأساور والقلائد وغيرها ، بجانب استخدام الذهب والفضة في تزيين السروج والسيوف والمصاحف وتزين الملابس والعمائم[١] .

وتمثلت الصناعات المعدنية أيضا في صنع بعض الآلات الزراعية البسيطة مثل المنجل والفأس والسواقي والمحراث بجانب استخدامه في صنع المكاييل[٢] ، ومن المعادن أيضا صنعت بعض أدوات الترف مثل المباخر[٣] واستخدام الحديد في عملية بناء السفن[٤] .

وكانت صناعة التكفيت[٥] من الصناعات المعدنية الرائجة ، حيث كان للنحاس المكفت رغبة عظيمة فلا تكاد تخلو دار في مصر من بعض قطع النحاس المكفته ، حيث كان لازما وجود دكه تشبه السرير مصنوعة من خشب مطعم بالعاج والأبنوس وفوق هذه الدكه دست من النحاس الأصفر مكفت بالفضة[٦] ، وكان بالفسطاط مسابك النحاس الأصفر والفولاذ بأرض الحسينية خارج القاهرة[٧]

ومن المعادن أيضا صنعت العملة بأنواعها المختلفة وهي الدنانير الذهبية والدراهم الفضية بجانب بعض النقود النحاسية والبرونزية[٨] .

(١) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٢٦
(٢)حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٢٥٣
(٣) أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، ص٢٨٣
(٤) راشد البراوي : حالة مصر ، ص١٧٢
(٥) التكفيت : هو تطعيم التحفة بمعدن أغلى من المعدن المصنوعة منه ، وذلك بأن يحفر على سطحها أماكن تملأ بالذهب أو الفضة أو غيرها . عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ص١٤٩
(٦) راشد البراوي : حالة مصر ، ص١٧٤ ، عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية ، ص١٤٩
(٧) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٤١٣
(٨) المقريزي : شذور العقود في ذكر النقود الإسلامية ، ص١٣ ، الكريملي : النقود ، ص٨٩
Stanly : Catalogue Arabic Coins, P.195 ,197

التجارة

عندما دخل العرب والمسلمين مصر، عملوا على استغلال الوضع التجاري المزدهر فيها لصالحهم، فساروا على نفس السياسة السابقة لعهدهم، وهى سياسة حرية التجارة.

وساعد موقع مصر الجغرافي منذ أقدم العصور على احتلالها مركزاً تجارياً مهماً، وكانت مصر خلال القرن الأول الهجري / السابع الميلادي مزدهرة تجارياً ويذكر أن الإسكندرية خلال هذه الفترة كانت ملتقى تجارة العالم كله، وتوافدت عليها أعداد غفيرة من التجار لشراء ما بها من بضائع[1].

وقد زاد الاهتمام بالتجارة بصورة كبيرة خلال عصر الولاة من سنة ٢٠-٢٥٤هـ/٦٤٠-٨٦٨م، ويظهر ذلك بوضوح في الاهتمام الذي نتج عنه إعادة حفر قناة أمير المؤمنين التي كانت تصل البحر الأحمر بالنيل[2]، وبلغت التجارة أوجها في عصر الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ) إذ اهتم أحمد بن طولون بالتجارة اهتماماً كبيراً، وجعل مصر مركزاً للتجارة العالمية في عهده، ويؤكد ذلك قول الرحالة ابن خرداذبّة عن التجارة في أواخر القرن الثالث الهجري، فقد تحدث عن التجار اليهود الراذانيه الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية، وذكر: "أنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً، ..."[3].

وفى عصر الدولة الإخشيدية وفد إلى مصر مجموعات أخرى من التجار اليهود من سوريا، فقاموا بدور هام في تجارة المرور بين مصر والشرق، هذا بجانب جالية كبيرة من الفرس[4].

(١) هويدا رمضان: المجتمع، ص١٩٥.
(٢) المقريزى: الخطط، جـ١ ص ٧١، سيدة كاشف: عصر الولاة، ص١٧٥.
(٣) ابن خرداذبة: المسالك، ص١٥٣، ١٥٤.
(٤) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين، ص٢٧٩.

وكان من أشهر تجار مصر خلال العصر الطولوني التاجر محمد الجوهري صديق ابن طولون ، والذي كان له وكلاء كثيرون في أسواق الشرق كلها[١] ، ومن أشهر التجار في الدولة الإخشيدية أبو بكر محمد بن على الماذرائى ت سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م ، والتاجر اليهودى "يعقوب بن كلس" الذي قدم من سوريا سنة ٣٢١هـ/٩٣٢م ، وأقام بالفسطاط واشتغل بتجارة الشرق[٢] .

ومن التجار "عفان بن سليمان بن أيوب أبو الحسن" الذي أقام بمصر ، وأوقف بها أوقافاً كثيرة على أهل الحديث وعلى سلالة العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم ، وكان بزازاً ، ولما توفى سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م استطاع الإخشيد أن يأخذ من ماله نحو مائة ألف دينار[٣] .

وخلال العصر الفاطمي ازداد النشاط التجاري في الفسطاط والقاهرة حيث يقيم بها الأعيان وأصحاب الإقطاعات ، ويكثر توافد الناس ، وكانت الفسطاط من أهم مراكز مصر التجارية لموقعها على النيل وتوسطها بين الوجهين القبلي والبحري[٤] .

هذا بجانب المراكز التجارية الأخرى مثل مدينة دمياط التي تميزت عن غيرها من المدن بازدهار التجارة ، وأصبحت الميناء الوحيد لمصر في الجزء الشرقي من البحر المتوسط، وكذلك مدينة قوص كانت من مراكز التجارة الداخلية فقامت بها الأسواق الكبيرة لوقوعها عند نهاية طريق القوافل بين البحر الأحمر والنيل ، وكان للأسواق شأن كبير في التجارة الداخلية[٥] .

(١) هويدا رمضان: المجتمع ، ص١٩٦.
(٢) سيدة كاشف: عصر الإخشيديين ، ص٢٨٠.
(٣) ابن سعيد: المغرب، ص١٧، الكندي: الولاة والقضاة ، ص٥٤٣.
(٤) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٥٨.
(٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٦٠٠.

وبالنسبة للتجارة الخارجية كانت مدينة الإسكندرية أهم ثغور مصر الإسلامية مما جعلها سوقاً تجارية مهمة وحلقة الاتصال بين طرق التجارة العالمية ، ويصفها المقدسى بأنها "قصبة نفيسة على بحر الروم"(١) ، ويذكرها الإدريسى بقوله: "وهى بلدة كثيرة العمارة رائجة التجارة وأسواقها كثيرة الاتساع"(٢) ، وقال عنها القلقشندى: "وإليها تهوى ركائب التجار في البر والبحر وتمير . تأخذ . من قماشها جميع أقطار الأرض"(٣) ، وكانت محطاً للأساطيل التجارية القادمة من بلاد المغرب والأندلس وجنوب أوربا(٤) ، هذا بجانب مدينة تنيس ، التي كانت مركزاً هاماً من مراكز التجارة في مصر(٥) ، والفرما التي كانت من المراكز التجارية الداخلية الهامة وكانت تستقبل تجارة سورية وسائر أقاليم شرق البحر المتوسط(٦) .

الطرق البرية :

١-الجسور والمعديات:

كانت هناك العديد من الجسور بجانب دورها الأساسي في تسهيل عملية النقل والحفاظ على البلاد من الفيضانات ، كانت تستعمل كطرق للتجارة الداخلية بين القرى والمدن(٧) ، هذا بجانب العديد من الطرق البرية الأخرى منها :

الطريق البرى الذي يصل بين الفسطاط والقاهرة وأسوان مارا بقوص وعيذاب ومنها تنقل التجارة بواسطة المراكب النيلية عبر نهر النيل(٨).

---

(١) المقدسى: حسن التقاسيم ، ص١٩٦.
(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق ، ص٣١٩.
(٣) القلقشندى: صبح ، جـ٣ ص٤٧٢.
(٤) سالم: تخطيط مدينة الإسكندرية ، ص٧٨،٧٧.
(٥) ناصر خسرو :سفرنامة ، ص٦٠.
(٦) أمينة الشوربجى: رؤية الرحالة ، ص٣٢٥.
(٧) راشد البراوي : حالة مصر ، ص٢٨٤
(٨) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٨٧ ، ٨٩

الطريق البرى الذي يربط بين القاهرة والإسكندرية مارا بمدينة وردان - إحدى مدن الجيزة - وترنوط وكوم شريك، والدلنجات، ودمنهور، ومدينة سلطيس والكريون ومنها إلى الإسكندرية، وهذا الطريق كان على الجانب الغربي لفرع رشيد[١].

وكان هناك طريق برى يربط بين الفسطاط ومدينة الإسكندرية مارا بمدينة ذات السلاسل، وترنوط، وكوم شريك ثم الكريون ثم إلى الإسكندرية، وكانت المسافة بين الفسطاط والإسكندرية تستغرق حوالي ستة أيام[٢].

أما المعديات فكانت تقام عند المدن التجارية الكبرى مثل الفسطاط والروضة وبين الروضة والجيزة، وكان الجسر عبارة عن مراكب مصطفة بعضها بجوار بعض وموثقة بالأخشاب[٣].

وكانت هناك العديد من الطرق البرية الدولية التي تربط بين مصر والمدن الأخرى منها:

- الطريق البرى بين القلزم ومكة يمر بالطور إلى الحجاز.
- الطريق البرى بين مصر والشام والعراق، ويبدأ من الفسطاط مارا بفاقوس والفرما والعريش ورفح وغزة؛ أما الطريق إلى دمشق فيبدأ من الفسطاط ويمر ببلبيس ثم إلى الفرما فالرملة ومنها إلى طبرية وينتهي في دمشق[٤].
- الطريق البرى الذي يربط بين الإسكندرية وثغور الشام وبيروت وصور وصيدا ويرتبط بالطريق البرى حتى جزيرة فيلكه إلى إيران والهند والصين[٥].
- الطريق البرى الذي يربط الفسطاط وبلاد المغرب مارا بالإسكندرية[٦].

(١) بتلر: فتح العرب لمصر، ص٢٧٣، ٢٦٧
(٢) الأدريسي: نزهة المشتاق، ص٣٦٦
(٣) المقريزي: الخطط، جـ٢ ص١٦٥، ١٦٦
(٤) المقريزي: الخطط، جـ ١ ص٢٢٧
(٥) ابتسام مرعي: علاقة الخلافة الموحدية بالمشرق، ص٢٨٠
(٦) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص١١٦

الطرق النهرية والمائية:

- الخلجان والقنوات والترع وكانت تستخدم كوسيلة لنقل البضائع بواسطة النهرية ، مثل خليج الإسكندرية ، حيث كان يربط الإسكندرية وباقي مدن مصر[١].
- الطريق المائي بين القلزم والإسكندرية ، حيث كانت القوافل التجارية تسير في خليج أمير المؤمنين ـ ثم تصل إلى الإسكندرية[٢] ، وكانت نهاية هذا الخليج على يد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي أمر عامله على مصر بردم الخليج سنة ١٤٥ هـ /٧٦٢م أثناء ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز ، فانقطع اتصال البحر الأحمر بالنيل منذ ذلك الوقت[٣] .
- خليج دمياط الذي كان يربط بين الفسطاط وتنيس[٤] .

ومن الطرق المائية التي كانت تربط مصر بالعالم الخارجي الآتي :

- الطريق البحري من غرب أوربا إلى المشرق حيث كانت السفن تأتى من بلاد الغال وترسو في الفرما ، ثم تحمل تجارتهم على الدواب إلي القلزم ، وتنقل عبر البحر الأحمر مارة بموانيه مثل جدة ، ثم تتجه إلي الهند والصين والعكس[٥] .
- الطريق البحري بين القسطنطينية والإسكندرية[٦] .
- الطريق البحري بين مصر وبلاد المغرب العربي ، وكان يبدأ من الإسكندرية مارا بالسلوم وطبرق وطرابلس ، وسوسة وصفاقص ، والمهدية ، وكان ينتهي بمراكش ، ويبدأ أحيانا من دمياط ورشيد[٧] .

---

(١) ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك ، ص٤٠ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٧٣
(٢) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص١٤٣
(٣)ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٦٤
(٤) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص١٥٤
(٥) هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢ ص٤٠١
(٦) هايد : تاريخ التجارة ، جـ١ ص١٣٩
(٧) راشد البراوي : حالة مصر ، ص٢٩٤ ، ٢٩٥ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص١١٠

- الطريق البحري الذي يربط بين الإسكندرية وجزر البحر المتوسط مثل صقلية وقبرص وقريطش وكريت ، وكان يستغرق عشرين يوما.

هذه الشبكة من الطرق البرية والنهرية والبحرية نالت اهتمام الخلفاء والولاة من خلال الحصون ، والمحارس ، وحفر الآبار ووضع العلامات الدالة على المسافة على هذه الطرق ، فسهلت التجارة الداخلية والخارجية.

وكانت هناك الكثير من المنشآت التجارية التي شجعت التجارة الداخلية يأتي في مقدمتها الأسواق ، حيث كانت أهم مراكز تسويق المنتجات الصناعية داخليا ، وكثرت هذه الأسواق في المدن التجارية الهامة مثل الفسطاط ، والإسكندرية والقاهرة ، وأسوان ، وقفط ، وعيذاب بجانب منتجات أسواق المدن الأخرى ، فقد كانت توجد سوق واحدة في كل مدينة وإن لم يكن في كل قرية[١] .

وكانت الأسواق والمصانع في جميع مدن العالم الإسلامي تقع غالبا بالقرب من منطقة الجامع الكبير بالمدينة[٢] ، وكانت هناك أيام معينة يقام فيها سوق لكل مدينة[٣] ، فعلى سبيل المثال كان بشبرا الخيمة سوق جامع يوم الثلاثاء[٤] ، وكان للجيزة سوق يوم الأحد[٥] .

ومن أشهر هذه الأسواق أسواق القاهرة والفسطاط ، وأسواق مدينة القطائع . وكان بها لكل من الباعة سوقها الخاص وكان لكل صنف من جميع الصنائع سوق[٦] ، وكذلك أسواق المدن مثل سوق أتريب التي اشتهرت بالعسل الذي كان يجلب من بنها[٧] وأسواق

(١) سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص٢٨٠
(٢) حسن عبد الوهاب : ورقات من الحضارة الإسلامية ، ف٢ ص٣١
(٣) المقدسي :أحسن التقاسيم ، ص٢٢٥
(٤) ابن دقماق : الانتصار ، جـ٥ ص٤٧
(٥) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٠٥
(٦) البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٣
(٧) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص٣٣٧

منوف ، وطنطا وسخا التي حفلت أسواقها بالكتان وزيت الفجل[١] ، وترنوط التي اشتهرت بإنتاج السكر وبيعه[٢] .

وكانت أسواق الأشمونيين وأخميم وأهناس وبوصير تعرض منتجات الحرير والكتان[٣] ، وقد اشتهرت أسواق الصعيد بالقفاف والحبال من الليف في غاية الجودة والصوف ، والحصر بجانب المصنوعات الجلدية التي كانت تسوق في مدنها[٤] ، كما اشتهرت بأسواقها العامرة[٥] ، وكذلك قوص واسنا وقفط وأسوان التي تميزت بنشاط حركة البيع طوال أيام السنة باعتبارها أهم ثغور مصر على البلاد الجنوبية[٦] .

وبجانب الأسواق كانت هناك القيساريات التي كانت تختص بالاتجار بأنواع معينة من البضائع ، فعلي سبيل المثال قيسارية هشام بن عبد الملك التي كان يباع فيها البز الفسطاطي ، وقيسارية عبد العزيز بن مروان ، وتخصصت في بيع البز أيضا[٧] ، وقيسارية البز التي أنشأها الإخشيد في سوق الحمام[٨].

وكان بالقياسر أماكن خاصة لمبيت التجار والصناع ، كما كان بها أماكن للصناع لمزاولة أعمالهم ، كما كان لهم مقرا للوكلاء والصيارفة بل كافة المعاملات المالية والتجارية ، وكان في بعض القياسر مساجد لتجار المسلمين[٩].

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص٢٠٣
(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص٢
(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٣١ ، الاصطخري : مسالك الممالك ، ص٥٣
(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٢١٣
(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص٣١
(٦) ابن جبير : الرحلة ، ص٣٥ ، ٥٩
(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٣٦ ، ١٣٧
(٨) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٥٦٢
(٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٣١

أما عن الصادرات والواردات :

فكانت مصر تصدر القمح والحبوب إلى الحجاز[١] ، وإلى صور وعسقلان حيث كان يصدر إليها ما مقداره مائة وعشرين إردب من الغلال[٢] ، كما كانت تصدر الورق البردي ، والزجاج ، بجانب تجارة بلاد النوبة وأثيوبيا المتمثلة في البهار والفضة والجواهر وغيرها[٣] ، أيضا جوز الطيب والقرنفل والفلفل والشب والنطرون إلى بلاد الروم[٤] ، هذا بجانب المنتجات الخزفية التي كانت تصدر من مصر لبلاد المغرب[٥] ، بجانب الكتان والأقمشة المختلفة[٦].

الواردات :

كانت مصر تستورد العديد من منتجات البلاد الأخرى ، فمن الجزيرة العربية كانت تستورد الخيول العربية والجمال والخشب القسي[٧] ، والجلود المدبوغة ، والدروع والعقاقير والكركم الذي كان يستخدم في الأدوية ، ومن أشجار عمان كانت مصر تستقبل أجود أنواع العنبر واللبان والبخور والمستكه[٨].

ومن بلاد الشام كان يرد أسواق مصر الكثير من الفاكهة كالتفاح والبرتقال بجانب الأخشاب اللازمة لبناء السفن والمراكب والأثاث[٩] ، أما بلاد المغرب العربي فكان يرد منها زيت الزيتون وبعض الفاكهة والأصواف والعسل والقطران ، والبغال والجلود[١٠] ،

(١) سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص١٧٩
(٢) المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٤٦٥
(٣) سيدة كاشف : أحمد بن طولون ، ص٢٠٥
(٤) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص٦١١ ، ٦١٥
(٥) القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص٢٤٧ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص١٦٣
(٦) صابر دياب : دراسات إسلامية ، ص٨٧ ، البراوي : حالة مصر ، ص ٢٦٢
(٧) كان القسى يتخذ من القانة ، وجمعها القان وهو شجر جبلى ينبت بشبة الجزيرة العربية ، عطية القوصى : تجارة البحر الأحمر ، هامش ص ٢٠٧ .
(٨) عطية القوصى : تجارة البحر الأحمر ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
(٩) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٩٨
(١٠) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص٢٠٧

وكانت مصر تستورد من الصين البهار والقرفة والزنجبيل والكافور الذي كان سعره في أسواق مصر مرتفعا[١] ، هذا بالإضافة إلى الورق "الكاغد" والحبر "المداد" والسروج واللباد والذهب والفضة والسجاد والحلي وبعض العقاقير والجواري[٢].

ومن الهند كانت تأتى أسواق مصر الياقوت والصندل والعود والفلفل ، وجوز الهند ، والزعفران والقرفة ، وخشب الأبنوس ، والأحجار الكريمة[٣] .

ومن المدن الإيطالية كانت مصر تستورد الأخشاب والمواد اللازمة لبناء السفن ، والحديد والنحاس ، والجبن الرومي ، والفراء والرقيق الأبيض[٤] .

وكان يرد مصر من بلاد النوبة الرقيق وذلك بموجب معاهدة البقط التي عقدت بين الطرفين في خلافة عثمان بن عفان ﷺ وولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح[٥] ، هذا ولم تكن كل الحاصلات والمنتجات الآتية مصر من البلاد الأخرى تستهلك في أسواق مصر محليا فحسب ، بل كان الكثير منها يحتفظ به التجار المصريون لديهم حين ورود سفن تجار الفرنج وتجار الروم ويبيعون لهم بأسعار عالية ، حيث كان معظم تجار مصر يقومون بدور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب.

(١) راشد البراوي : حالة مصر ، ص٢٥٧

(٢) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ١ ص ٣٦٥ ، عطية القوصي : الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٨٥ ص١٣٢

(٣) هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢ ص٣١٢

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص١٠٠ ، ١٠١

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٧٢ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص٢٠٠